أثر اللغة العربية في بناء مجتمع المعرفة وتكوينه «دراسة وصفية»

د. محمد أحمد عبدالعاطي أبوناجمة[1]

المستخلص

شهدت المجموعات البشرية عالمياً في عصر الانفجار المعرفي تطوراً سريعاً ومتنامياً شمل كافة مجالات الحياة طوعا وكرها تحت مظلة العولمة ،وقد ظهر من هذا التنامي السريع ميلاد(مجتمع المعرفة) الذي يولد المعرفة،ـــ لكن ليس عن طريق معطيات العقل والحس فقط، وإنما تضم إليها معطيات الوحيـــ وينشرها ويستثمرها من أجل ازدهار المواطن ورفاهيتهـــ أي تحسين نوعية الحياة ورفع مستوى المعيشة، عبر لغة هي الوحيدة التي تتمتع بثقافة أحد مصادرها الوحي، ألا وهي اللغة العربية. كما أن اللغة عموما هي الفرع المعرفي الوحيد الذي ينفرد بشبكة من العلاقات الوطيدة مع جميع فروع المعرفة من دون استثناء. وثمة أمر آخر وهو أن كل لغة طبيعية تدرس من خلال مسلكين،أولهما: داخلي يعنَى ببنيتها وعناصرها وعلاقة نظامها الخاص بعضه ببعض،وثانيهما:خارجي يعنَى بتفاعلها وعلاقاتها المتشابكة مع محيطها الجغرافي والاجتماعي، والاقتصادي،والسياسي،والثقافي،وهذا المسلك هو أحد مقاصد هذا البحث. ويهدف البحث إلى توضيح وظيفة اللغة العربية وفعاليتها في بناء مجتمع المعرفة. ويكون السعي لتحقيق هذا الهدف واجبا عربياً وإسلامياً لتأسيس سبل الإنتاج المعرفي النابع من تربة المجتمع ولحمته دينًا وقيما وثقافة. وتتكون عناصر هذا البحث من بيان لمفاهيمه المعرفية ،(وظيفة اللغة، مجتمع المعرفة) وأهم ملامح تكوينه،ثم طرق الولوج إليه،متبعا المنهج الوصفي التحليلي،وقد توصلت إلى نتائج أهمها أن توطين العلوم والمعرفة باللغة العربية يعد شرطا أساسيا لبناء وتكوين مجتمع المعرفة. وأن مجتمع المعرفة يسهم بدرجة كبيرة وفي تحقيق التنمية المستدامة من خلال إيجاده

١- أستاذ مشارك – كلية اللغة العربية – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

لموارد معرفية بديلة،ولا يمكن أن يتكون هذا المجتمع في ظل الازدواجية أو الثنائية اللغوية أصلا. وأوصيت أن تسهم مؤسسات التعليم العالي في بناء وتكوين مجتمع المعرفة في الوطن العربي من خلال التعريب ،وأن تقود حملة إعلامية تُعرف بفوائده السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها. وأن تتضافر الجهود لمحو التعليم باللغات الأجنبية في رياض الأطفال ومرحلتي الأساس والثانوي،منعا للمعرفة من الحصر النخبوي والانفراد بدل التفرد.

المقدمة

الحمد لله المعين الواهب،ذو الفضل الجليل الباسط،والصلاة والسلام علي سيدنا محمد نبراس النهى الرحيم الباسل،وآله وصحبه أولو الهدي المتواصل .. وبعد.

فقد شهدت المجموعات البشرية عالميا في عصر الانفجار المعرفي تطوراً سريعاً ومتنامياً شمل كافة مجالات الحياة طوعا وكرها تحت مظلة العولمة، وقد ظهر من هذا التنامي السريع ميلاد(مجتمع المعرفة) الذي يولد المعرفة، لكن ليس عن طريق معطيات العقل والحس فقط، وإنما تضم إليها معطيات الوحي، وينشرها ويستثمرها من أجل ازدهار المواطن ورفاهيته ـــ أي تحسين نوعية الحياة ورفع مستوى المعيشة، عبر لغة هي الوحيدة التي تتمتع بثقافة أحد مصادرها الوحي، ألا وهي اللغة العربية. ويكون السعي لتحقيق هذا الهدف واجبا عربياً وإسلامياً لتأسيس سبل الإنتاج المعرفي النابع من تربة المجتمع ولحمته ديناً وقيما وثقافة.

فاللغة وفق رؤية علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية بامتياز،ولا يمكن لهذه الظاهرة أن توجد وتستمر دون وجود فردين على الأقل،يعرفان ويتكلمان تلك اللغة،من ناحية ،ومن ناحية ثانية يتعذر وجود حقيقي ذو معنى وفائدة لمجموعات بشرية صغيرة كانت أو كبيرة دون رباط لغوي ييسر بينها عملية

التواصل والتفاعل،ويوفر لها تضامن وتماسك أفرادها وفئاتها المختلفة، وقد حققت المجموعة البشرية من الخليج إلى المحيط عبر الرابط اللغوي(اللغة العربية الفصحى) منذ فجر الفتوحات الإسلامية تماسكا وتضامنا اجتماعيا دام أكثر من ثلاثين قرنا تماسك ثماره ميلاد حضارة إنسانية كاملة الدسم تفيّأ الجميع ظلالها نعمة وأمناً.

كما أن اللغة هي الفرع المعرفي الوحيد الذي ينفرد بشبكة من العلاقات الوطيدة مع جميع فروع المعرفة من دون استثناء. وثمة أمر آخر وهو أن كل لغة طبيعية تدرس من خلال مسلكين،أولهما: داخلي يعنَى ببنيتها وعناصرها وعلاقة نظامها الخاص بعضه ببعض،وثانيهما:خارجي يعنَي بتفاعلها وعلاقاتها المتشابكةمع محيطهاالجغرافي،والاجتماعي،والاقتصادي،والسياسي،والثقاف ي،وهذا المسلك هو أحد مقاصد هذا البحث.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- هل يعد توطين المعرفة شرطا أوليا للدخول في مجتمع المعرفة؟

٢- هل الازدواج اللغوي يعد مانعا من الدخول لمجتمع المعرفة؟

٣- ما العلاقة بين اللغة وتكوين مجتمع المعرفة؟

٤- كيف يمكن لمجتمع المعرفة أن يسهم في تحقيق التنمية المستدامة؟

٥- ما المانع من أن نتحول إلى مجتمع المعرفة هل هو اللغة العربية أم المجتمع ؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي :

١- توضيح وظيفة اللغة وفعاليتها في بناء مجتمع المعرفة.

٢- الربط بين ملامح مجتمع المعرفة والتنمية المستدامة.

٣- تبيان الدور السلبي للازدواجية والثنائية اللغوية في تكوين مجتمع المعرفة.

٤- الإسهام في مشروع النهوض باللغة العربية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في أن اللغة تمثل دورا محوريا في خريطة المعرفة الإنسانية الشاملة، وتنفرد بشبكة من العلاقات الوطيدة مع جميع فروع المعرفة من دون استثناء .

كما أن دراسة المسلك أو البعد الخارجي للغة العربية، يحتاج إلى المزيد من البحث، لمعرفة مدى وظيفيتها.

كما تكمن أهمية البحث في أنه يضيف جديدا في الدراسات البينية.

منهج البحث :

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

هيكلته :

مكون من ثلاثة مباحث وخاتمة تحمل أهم نتائج الدراسة وتوصياتها تعقبها قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول: **المفاهيم المعرفية** وتحته مطالبان:

المطلب الأول: مفهوم اللغة ووظائفها.

المطلب الثاني: مفهوم مجتمع المعرفة، وتأصيله.

المبحث الثاني : ملامح مجتمع المعرفة.

المبحث الثالث: **العربية وبناء مجتمع المعرفة** (**تحديات وحلول**) وتحته مطلبان.

المطلب الأول: تحديات اللغة العربية في بناء مجتمع المعرفة

المطلب الثاني: مقترحات وحلول لفاعلية اللغة العربية في بناء مجتمع المعرفة

المبحث الأول
المفاهيم المعرفية
المطلب الأول
مفهوم اللغة ووظائفها

اللغة وسيلة أساسية من وسائل الاتصال الاجتماعي، وخاصة في التعبير عن الذات وفهم الآخرين، كما أنها وسيلة مهمة من وسائل النمو العقلي والمعرفي والانفعالي،إلا أنه يشيع في أوساط حياتنا الثقافية، أن اللغة أداة للتواصل، وهذا غرض أساس من أغراضها كما أسلفت؛لكنه فهم منه غير المراد.

فبعضهم يرى إذا كانت وظيفة اللغة كذلك فليكن التواصل بأي لغة كانت، وهذا أمر في غاية الخطورة ، فمن عبر بلسان قوم تلبس بتفكيرهم دون شك، وهو دور ثقافي خطير كامن في اللغة وملازم لها ملزمة الظل للإنسان، ولعل هذه الحقيقة هي ما فطن إليه الغربيون عند ما كانت حاجتهم ملحة لتنصير الأمم والشعوب الأخرى عن طريق الإرساليات المسيحية فغيروا الأديان والمعتقدات الإسلامية عن طريق اللغة" حيث اهتم الأوربيون بلغات الأمم الأخرى حتى يكون الغزو الفكري موصولا إليه اعتماداً على فهم اللغة"[1] كما فطنو إليه الآن حيث غيروا المفاهيم الاقتصادية عن طريق فهم لغاتهم ،فصار الاقتصاد العالمي بكل مقوماته ملكا خاصا لهم ووفروا له الحماية القانونية (الملكية الفكرية) لضمان استمراريته في خزانتهم،وكل ذلك مشفوعا بثقافتهم والثقافة مصطلح معظم اللغة مضمَّنٌ فيه. واللغة من وجهة النظر النفسية تنقسم إلى قسمين:

قسم ظاهري:

تمثله الكلمات والحروف والأصوات اللغوية والإيماءات والإشارات والتعبيرات الوجهية،وحركات الشخوص.

(١) اتجاهات التحليل اللغوي،د.بكري الحاج، النادي الأدبي الثقافي ،جدة ط،١، ٢٠١٤م، ص ٣٥.

قسم خفي داخلي:

وهو يمثل الجزء الأعظم من اللغة، ومكوناته هي التآزرات العصبية العضلية بين أعضاء الكلام المختلفة، وتكوين المخ وربطه ببعض ،وبالخبرات السابقة وإعطائه المعنى.

وأما من وجهة النظر الاجتماعية، فعلماء الاجتماع يرون أن اللغة ظاهرة اجتماعية ويعرفونها بأنها" مجموعة من الرموز تمثل المعاني المختلفة،وهي مهارة اختص بها الإنسان ،وهي: نوعان لفظية وغير لفظية، وهي وسيلة الاتصال الجماعي والعقلي وهي إحدى وسائل النمو العقلي والتنشئة الاجتماعية والتوافق الانفعالي، ومظهر قوي من مظاهر النمو العقلي والحسي والحركي "[1].

فاللغة إذن وفق رؤية علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية بامتياز،ولا يمكن لهذه الظاهرة أن توجد وتستمر دون وجود فردين على الأقل،يعرفان ويتكلمان تلك اللغة،من ناحية ،ومن ناحية ثانية يتعذر وجود حقيقي ذو معنى وفائدة لمجموعات بشرية صغيرة كانت أو كبيرة دون رباط لغوي ييسر بينها عملية التواصل والتفاعل،ويوفر لها تضامن وتماسك أفرادها وفئاتها المختلفة، وقد حققت المجموعة البشرية من الخليج إلى المحيط عبر الرابط اللغوي(اللغة العربية الفصحي) منذ فجر الفتوحات الإسلامية تماسكا وتضامنا اجتماعيا دام أكثر من ثلاثين قرناً[2]، تماسك ثماره ميلاد حضارة إنسانية كاملة الدسم تفيّأ الجميع ظلالها نعمة وأمناً.

وهذا يؤكد رؤية علماء الاجتماع أن اللغة مادة اجتماعية أصلا وفرعا، وهي كائن حي اجتماعي بالطبع [3] ينمو وينهض ويبلغ أوج نضجه وعنفوانه وذروة مجده وعزه ،إذا لم يقصه المجتمع من دوائر الاستعمال في كافة قطاعاته

(١) انظر النمو اللغوي للمعاقين سمعيا، د،احمد نبوي،د،فراس أحمد سليم،مركز النشر العلمي، جامعة الملك سعود،ط١٤٣٨،١هـ ص١٤-١٥.

(٢) اللسان العربي وإشكالية التلقي ص ٤٠.

(٣) اللغة كائن حي ،جرجي زيدان ص٣.

دون استثناء، اليومية والسياسة والاقتصادية والصناعية والعلمية والإعلامية والتكنولوجية والاتصالاتية في البعدين للغة الداخلي والخارجي،وحينئذ تصبح اللغة كائناً حيّاً ينبض بالحياة حركة وفتوة وتطوراً. وعلى العكس من ذلك يمكن لهذا الكائن أن يتخلف ويمرض ويشيخ ويهرم، ويفقد السمع والبصر والذاكرة ويموت مفارقا حياتنا الدنيا تماما مثل جميع الكائنات متى ماحرمها المجتمع بالكامل من دنيا الاستعمال.

واللغة بهذه الرؤية السوسيلوجية لعلماء الاجتماع ـــ ترفض عبارات مثل اللغة الإنجليزية هي لغة التقدم أو العالم أوالتكنولوجيا أو الاقتصاد ـــ" لا تقبل مطلقا الأقاويل التي تدعي بأن هنالك لغات متقدمة بالطبع ، وأخرى متأخرة بالطبع ،فهذه مزاعم جاهلة بالطبيعة الاجتماعية للغات. فهي إذن باطلة من الأساس؛ لأنها لا تستند على علم ومعرفة بطبيعة الأشياء،وإنما هي متأثرة في تلك الأقاويل بقصور في النظر وفقدان لروح الموضوعية والسقوط في فخ الرؤية الامبريالية والاستعمارية والعنصرية في مسألة اللغات والثقافات في عالم اليوم "[1] فاللغات الإنسانية طبقا للمعايير اللغوية لا تتفاضل[2].

وحتى نربط الوظيفة اللغوية بموضوع البحث فإن الثروة المعرفية الإنسانية كلها تقوم علي تبادل الكلمات،وأصبح اللسان اليوم من أبرز القضايا المتصلة بالتخلف والتقدم والتواصل بجميع أنواعه، وأن وظيفة اللغة لا تقاس دمغرافياً وجغرافياً فقط ، بل بالوظائف التي تقوم بها،وبرهان ذلك ودليله من الناحية الاقتصادية مثلا: (الين الياباني) العملة الشرقية الوحيدة المعترف بها احتياطيا لدى البنك الدولي،فهذا الصعود للين الياباني سره كامن في وظيفية اللغة اليابانية، التي لم يقصها المجتمع الياباني من دوائر الاستعمال في كافة قطاعاته من دون استثناء وليس عدد المتحدثين بها؛لأن الأمر لو كان يقاس عبر الرقعة الجغرافية فقط ، لكانت العملة الصينية أولى بالصعود من اليابانية.

(١) اللسان العربي وإشكالية التلقي ص ٤٢.

(٢) اللسانيات وأسسها المعرفية ،عبد السلام المسدي ص ١٣.

ويضاف لما سبق إنه من الثابت علمياً أنَّ أفضل لغة يتعلم بها المتعلِّم هي اللغة التي نشأ عليها، فيما يُعرف عالمياً باللغة الأم. وأن ا لتعلُّم والفهم والإدراك تعتمد كلُّها على استيعاب المتعلِّم للمادة المراد تعلُّمها. وتزداد أهميتها كلما كانت المادة المرادُ تَعلُّمها ذاتَ خطر وأهمية للفرد والمجتمع، وكانت مادتها أصعبُ وأغزر،مثال: علوم الطبُّ، والهندسة، وعلوم الأرض والمعادن، والفلك ونحوها[1].

المطلب الثاني

مفهوم مجتمع المعرفة وتأصيله

أولاً: مجتمع المعرفة:

ظهر هذا المصطلح في حقبة تعددت فيها مصطلحات كثيرة مثل: ثورة المعلومات، المجتمع المعلوماتي ،والحاسوبي،ومجتمع ما بعد الصناعة، والمجتمع الرقمي، ومجتمع ما بعد الحداثة،ومجتمع اقتصاد المعرفة، وتدور تعريفات كثيرة حول هذا المفهوم نسبة لحداثته من جهة والفلسفة المنظور له منها من جهة أخرى. ولكن قبل بيان هذا المفهوم لابد من توضيح أجزائه ومكوناته وهي:

١ ـ المعرفة:

لعلماء الإسلام سبق في إيضاحات هذا المفهوم تفرق بينه وبين العلم الذي يجتمع معه في أن كلا المفهومين يشتركان في إدراك الأشياء، إلا أن مفهوم المعرفة يعني عندهم إدراك مسبوق بجهل، أو الإدراك الجزئي والبسيط، بخلاف العلم ،فإنه يقال للإدراك الكلي، ولذا يسمى الله تعالى عالماً ولا يسمى عارفاً، فالمعرفة، قد تقال فيما تدرك آثاره، وإن لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال إلا فيما أدرك ذاته. ولذا يقال: فلان يعرف الله، ولا يقال: يعلم الله، لما كانت معرفته – سبحانه – ليست إلا بمعرفة آثاره دون معرفة

(١) لغة التدريس في كليات العلوم التطبيقية في مؤسسات التعليم العالي،كيف نصل إلى التعليم باللغة التي يفهمها الطلاب والأساتذة د حسن أبو عائشة.

ذاته. والمعرفة تقال فيما لم يعرف إلا كونه موجودا فقط. والعلم أصله فيما يعرف وجوده، وجنسه، وعلته، وكيفيته. ولهذا يقال: الله عالم بكذا ولا يقال: عارف لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر"[1].

وأما المعرفة في الاصطلاح الحديث فيرى تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠٠٩م أنه مفهوم "يمتد ليشمل مجمل المخزون المعرفي والثقافي، من منظور كون المعرفة تعد ناظماً رئيساً لمجمل النشاطات الإنسانية، ترمى إلى توسيع خيارات وفرص تقدم الإنسان العربي، وبذلك تصبح المعرفة – اكتساباً وإنتاجاً، وتوطيناً وتوظيفاً – أداة وغاية للمجتمع ككل، ومن ثم فإن التغيرات في المشهد الاجتماعي أفضت إلى مجتمعات أضحت فيها المعرفة أداة أساسية للإنتاج والابتكار والتقدم وزيادة القدرة التنافسية. وبهذا تعدّ المعرفة أداة بالغة الأثر في تنمية المجتمع، وفى قدرة أفراده على إدراك حقوقهم وواجباتهم ومسئولياتهم تجاه مجتمعاتهم."[2] وعُرفت بأنها "حصيلة مفردات المعلومات التي تجمعت وتكاملت فيما بينها لتشكل بنية متماسكة متكاملة" وهي الأثر أو الناتج المترتب على استثمار المعلومات من جانب الأفراد المجتمع "[3].

كما عُرفت بأنها "حصيلة امتزاج وتفاعل خفي بين المعلومات والخبرة والمدركات الحسية والقدرة على الحكم ،وتتم عملية المزج داخل عقل الفرد لتنتج بعده المعرفة التي توصل لأفضل النتائج والقرارات واستخلاص مفاهيم جديدة" أو هي الفهم الراقي والإدراك الصحيح للظواهر والحقائق من خلال الخبرات والثقافات والمهارات والقدرات[4].

٢ ـ مجتمع المعرفة:

أما مجتمع المعرفة من حيث الاصطلاح فنسبة لحداثته من جهة والفلسفة المنظور له منها من جهة كما سبق،جعلت الفهوم فيه مختلفة، فهو

(١) الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١ /٥٠٠. والتعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الانبابري، ط٢، دار الكتاب العربي١٩٩٢م ص٢٨٣.

(٢) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقرير المعرفة العربى للعام ٢٠٠٩. دبى: دار الطباعة والنشر. ص٢٦.

(٣) مجتمع المعرفة جامعة عمان ص٩٧.

(٤) معوقات نقل المعرفة، محمد احمد حمد، أعمال مؤتمر العلماء والخبراء السودانيين بالخارج فبراير ٢٠١٧م ص٤٨.

مجتمع عارف و واع يفيد من مجتمع المعلومات .

ويعرف تقرير التنمية الإنسانية العربية (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي) مجتمع المعرفة بأنه "المجتمع الذي يقوم أساساً على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي، كالاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة والحياة الخاصة، وصولاً لترقية الحالة الإنسانية باطراد، أي إقامة التنمية الإنسانية"(١).

وعُرف بأنه" المجتمع الذي يحسن استخدام المعرفة في تسيير أموره وفي اتخاذ القرارات السليمة والرشيدة،أو هو ذلك المجتمع الذي ينتج المعلومة لمعرفة خلفيات وأبعاد الأمور بمختلف أنواعها.وعُرفه المراياتي بأنه" المجتمع الذى يُوجد المعرفة وينشرها ويستثمرها من أجل ازدهار المواطن ورفاهيته ـــ أي تحسين نوعية الحياة ورفع مستوي المعيشة"(٢).

ويُعرَّف مجتمع المعرفة من منظور اقتصاد المعرفة بأنه المجتمع الذي يقوم على أسس اقتصادية من الابتكار وتبادل السلع والخدمات غير المادية، وتكون فيه المعلومات والمعارف الحديثة مرتفعة القيمة ومطلوبة اقتصادياً. أو هو المجتمع الذي يمتلك قدرة نوعية على التنظيم وإيجاد آليات راقية وعقلانية في مجال التحكم في الموارد المتاحة وحسن استثمارها وتوظيفها، وإيلاء الموارد البشرية الموقع الملائم في تحقيق النمو الاقتصادي(٣).

ويمكننا هنا أن نختار تعريفا إجرائيا يتناسب مع طبيعة هذا البحث فنقول:إن مجتمع المعرفة هو:المجتمع الذي يولد المعرفة لكن ليس عن طريق معطيات العقل والحس والتجربة فقط، وإنما تضم إليها معطيات الوحي، وينشرها ويستثمرها من أجل ازدهار المواطن ورفاهيته - أي تحسين نوعية الحياة ورفع مستوى المعيشة. وتعد اللغة العربية أساسه الذي يبنى عليه،لأنها

(١) برنامج الأمم المتحدة الإنمائى ٢٠٠٣م ص ٣٩.

(٢) المؤتمر الدولي السادس للجمعية الاقتصادية بعمان ،فبراير ٢٠١٣م بحث بعنوان:الاقتصاد القائم علي المعرفة: دكتور محمد مراياتي ص ٣ .

(٣) اقتصاد المعرفة، ربحي مصطفي عليان، دار صفاء للنشر والتوزيع،١٢١٢،ص٤٨٠ .

الوحيدة التي تتمتع بثقافة أحدُ مصادرها الوحي، لتكون بمنزلة الضامن له من جميع الانحرافات الاجتماعية، والثقافية، والفكرية،والاقتصادية، وتستمد العربية شرعيتها في ذلك من الكتاب والسنة والتراث.

وقصدنا من هذا التعريف الإجرائي أن نفرق بين مفهومين[1]: مجتمع المعلومات، ومجتمع المعرفة، فالأول يعتمد على ما أحرزته تكنولوجيا المعلومات من تقدم ،والآخر يعتمد على مراعاة الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية في التعامل مع تلك المعلومات.

والمجتمع لا يستطيع أن يوجد المعرفة بهذا الشكل إلا عن طريق توطينها باللغة الأم وهي مسئولية وزارة التربية والتعليم في كل بلد وتتمثل في الأتي:

١- إنتاج المعرفة عن طريق العملية التعليمية.

٢- تطويرها بإعمال البحث العلمي في مجالاتها المختلفة.

٣- إتاحتها عن طريق نشرها للمتلقي والدارس تحقيقا لمجتمع المعرفة[2].

وعندما يتكامل هذا المثلث باللغة الأم ،يصبح من اليسير جدا،تبادل المعرفة والمعلومات بين كافة المواطنين والنخب العليا على حد سواء.لتصبح المعرفة تفردًا وليس انفرادًا.

وإلا فسيظل الاستمرار في استيراد المعرفة والتقنية بلغتها الأصلية دون نقلها إلى اللغة الأم ،يتطلب استمرار اللغة والثقافة اللتين أنتجتا تلك المعرفة، مما يعنى محدودية المعرفة والحد من نسبة مشاركة المجتمع فيها ويعطل جزاءاً مهما من طاقاته البشرية والتي يمكن أن يستفاد منها في بناء مجتمع المعرفة بفعل حاجز اللغة.ولابد هنا من الإشارة إلى أن استيراد المعرفة والتقنية،ولاسيما العالية والدقيقة،ليس دائما سهل المنال،أو متاحاً للجميع ،وإنما هو بشروط

(١) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (٢٠٠٥). التقرير العالمى لليونسكو(من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة). باريس:صدر عن منظمة اليونسكو.ص٤٩.

(٢) تدريس العلوم في ظل تحديات العولمة بين التعريب والتغريب .د، علي الطاهر شرف الدين، مجلة التعريب، يصدرها المركز العربي للتعريب ،دمشق، العدد١٨ ،السنة الخامسة ص٤٤.

وقيود ثقيلة،قد تصل إلى وضع المقترض رهينة في يد المقرض وتحت رحمته وَوِصايته وابتزازه وتبعيته الفكرية، والسياسية،والاقتصاديَة[1].

وهنا يتضح الخلط العالق بأذهان الكثيرين من دعاة التعليم باللغات الأجنبية عموماً والمتمثل في أن العائد من استثمار العلوم والتكنولوجيا باللغات الأجنبية أكبر، وهذا الخلط يجب إيضاحه بأن العائد من استثمار تلك العلوم باللغات الأجنبية نوعان هما:

١- عائد على الخريج الفرد.

٢- عائد على الاقتصاد الكلي والمجتمع.

فالعائد على النوع الأول إيجابي دون شك ،ولكنه سلبي على النوع الثاني(الاقتصاد الكلي والمجتمع) ومن جانب آخر،فإن العائد الإيجابي على النوع الأول يجعل المتعلمين والباحثين يخدمون المجتمعات المتقدمة،ولا يسهمون في عملية التنمية المستدامة في مجتمعاتهم ،وسبب ذلك أنه من مستلزمات التنمية المستدامة سريان العقلية العلمية في كافة جوانب المجتمع وطبقاته وليس الأفراد فقط ،ولا يمكن أبدًا لمجتمع أن ينتج ويبدع ،مالم يستوعب العنصر البشري الموجود فيه تقنيات الإنتاج الحديثة، وأدواته المتقدمة، وهذا هو شرط الاقتصاد العالمي الجديد القائم على المعرفة ،ولا يمكن تحقيق ذلك إذا اكتفينا بنخبة من الباحثين والعلماء الذين تم تثقيفهم علمياً وتقنياً باللغة الإنجليزية أو اللغات الأجنبية عموماً؛ لأن رؤية هؤلاء للواقع تختلف تمام الاختلاف مع رؤية المجتمع الذي يتكلم اللغة العربية[2].

ومن المنطقي جدًا أن يكون أحد أسباب هجرة العقول تلقي العلوم باللغات الأجنبية، وهذا يوجِد حواجز لغوية ومفا هيمية كذلك، ويحول بين التواصل والتوصيل ومفاهيمية،لتكون النتيجة هي انعدام مجتمع المعرفة،

(١) لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية، د،عبدالعلي الودغيري، دار الكتب العلمية. ص٢٢.

(٢) مجلة الفيصل بحث بعنوان (التداخل اللغوي والتعدد اللغوي) الدكتور علي القا سمي، العدد ٢٢٤ ،١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م،ص٤٤.

ومن الدراسات ما أثبت العلاقة بين ظاهرة الهجرة ولغة التخصص، حيث المتعلم بلغة أجنبية كثيرًا ما يجد نفسه مدفوعاً للبحث عن عمل في المجتمعات الصناعية والتي يمكنه التكيّف معها لغوياً وفنياً[1]. مما يعنى تحقيق الربح والفائدة للفرد والأسرة، والخسارة والكبوة على المجتمع والأمة.

يضاف لذلك أن تلك النخب تحن دائما لمراكز إشعاعها تلك من حيث التشبه بهم حتى أخلاقيا، ومن ثم الهجرة لتلك المراكز وهذا ما يسمي ب (هجرة العقول) وهي هجرة ذكرت الدراسات أن من أكبر عواملها ضعف المردود المادي وانخفاض مستوي الدخل، وهي من أصعب أنواع الهجرات،و هناك ثلاثة أنواع من نزيف الأدمغة تعاني منها الدول النامية هي:

النوع الأول: **النزيف الخارجي للعقول**:

وهو ما تركز عليه عادة الدراسات المهتمة بهذا الموضوع. وقد وصف في تقرير الأمم المتحدة للعام ٢٠١٧ بالكارثة[2].

النوع الثاني: **النزيف الداخلي للعقول**:

وهو الميل عند علماء وفني الدول الفقيرة،للتصرف من الناحية العلمية على أساس أنهم أعضاء في المجتمع العلمي الذي يوجد مركز جاذبيته في الدول الغنية، بل التصرف كمواطنين في بلدانهم الأصلية،وبناء على هذا الأساس إذا أراد أحدهم الحصول علي جائزة نوبل،أو الاعتراف به من قبل أنداده في الخارج أو نشر بحوثه في المجلات العلمية الرائدة،يجب عليه أن يتوجه إلى آخر ما توصلت إليه العلوم في مجال معين،وهو توجه في معظمه غير ملائم للمستوى العلمي،ولا الثقافي،ولا الاجتماعي،ولاقتصادي،ولا المشاكل الملحة في الدول النامية التي يتوجب مواجهتها وإيجاد حلول لها[3].

(١) انظر توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية رؤية ومشروع د،علي القريشي كتاب الأمة العدد١٢٥ جمادي الأولي ١٤٢٩هـ ص٥١.

(٢) الإسكوا ٢٠١٧.

(٣) العرب أمام تحديات التكنولوجيا ص ١٠٠.

النوع الثالث: **النزيف الأساسي للعقول**:

وهو إخفاق العقول البشرية في بلوغ طاقاتها وإمكانيتها نتيجة سوء التغذية الذي يعاني منه الأطفال الصغار في الدول النامية خلال الفترة الممتدة بين الشهر التاسع والسنة الثالثة من أعمارهم وهي الفترة التي يتكون فيها معظم دماغ الإنسان[1].

ثانيًا: لمحة تأصيلية لمفهوم مجتمع المعرفة:

من خلال تعريفنا الإجرائي لمجتمع المعرفة وهو المجتمع الذي يولد المعرفة لكن ليس عن طريق معطيات العقل والحس والتجربة فقط،وإنما تضم إليها معطيات الوحي، وينشرها ويستثمرها من أجل ازدهار المواطن ورفاهيته – أي تحسين نوعية الحياة ورفع مستوى المعيشة،وتعد اللغة العربية أساسه الذي يبنى عليه،لأنها الوحيدة التي تتمتع بثقافة أحد مصادرها الوحي،لتكون بمنزلة الضامن له من جميع الانحرافات الاجتماعية،والثقافية والفكرية، والاقتصادية، وتستمد العربية شرعيتها في ذلك من الكتاب والسنة والتراث.

ومن الافت للنظر حقيقة في تأصيل هذا المفهوم أمران :

أحدهما: أن القرءان الكريم بدد فجوة العقل اللغوي وتصيد مقاتلها أولا، لأنها تعد الفجوة الأساس والعقبة الكئود لكل مجتمع ينشد معرفة أو يقيم حضارة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، لم؟؟؟ والأنبياء هم بناة الحضارات(مجتمع معرفة) دون شك عن طريق المعرفة المنتجة بمعونة المجتمع لكن ليس ابتداء.

ثانيهما: أن أول ما نزل من القرءان الكريم هو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

ولفظة(اقرأ) تدل في اللغة العربية على أصل واحد هو الجمع والاجتماع[2] وفيها أمر بالقراءة مشفوع بكيفيتها (باسم ربك) وهو دون

(١) نفسه ص ١٠٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس، مادة(قرأ).

ريب أمر تشكلت منه العقيدة،والفكر والمجتمع ،ثم الأمة ،وبعدها الحضارة الإسلامية. يقول سيد قطب "إنها السورة الأولى من هذا القرآن ، فهي تبدأ باسم الله . وتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما توجه ، في أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى ، وفي أول خطوة من خطواته في طريق الدعوة التي اختير لها . . توجهه إلى أن يقرأ باسم الله : ﴿اقرأ باسم ربك﴾"(١).

ونلحظ كذلك في لفظ(اقرأ) العلم المفتوح ورأس المال المعرفي غير المحدود في كميته، لكنه مشروط في نوعيته،(باسم ربك).فكلمة (الربا) مثلا في اللغة العربية تعني مطلق الزيادة والتي عندما يعد الوحي أحد روافد العربية ومصادر ثقافتها،يعطي مفردة (الربا) بُعداً دلالياً آخر هو(أكل الحلال،البركة) يمثل زيادة في نوعية تكوين مجتمع المعرفة.لذا ينبغي أن توضع نظرية في السياسة اللغوية العربية تعنى باستخدام أخلاقيات اللغة العربية،باعتبارها قيمة مضافة في مجتمع المعرفة.

كما أن الحضارة الإسلامية شهدت مرحلة توطين المعرفة،ثم مرحلة الإبداع فالإنتاج،بعد هضم واستيعاب للمعارف المستوردة عبر اللغة العربية المشتركة بين كافة فئات المجتمع والشعوب المنضوية تحتها. ومن أمثلة المعارف التي نقلت وترجمت ثم استوعبت بشكل واسع وعميق الطب والرياضيات والهندسة وعلوم النبات والفلك والفلسفة،وقد انكب المجتمع على دراسة تلك المعارف وتعلمها وشرحها وفهمها فترة معينة أعقبتها مرحلة الإنتاج والإبداع التي أخرجت جهابذة في كل فن، كابن سينا والرازي ،وابن رشد، ممن أصبحت كتبهم تدرس في أوربا إلى وقت قريب،وقد حَظي الطب في تلك الحضارة بتعريب كامل جعله متاحاً لكل شخص من أبناء تلك الحضارة أو مستعملا للغتها،دون أن يجد عائقا،فصار الطب من الأمور المتاحة التي شاع انتشارها وعظم نفعها والاستفادة منها بين سائر طبقات أفراد المجتمع ، عبر لغة سهلت الولوج لكل فرد،ولو ألَمَّ بشيء قليل من العربية ، بل بلغ الأمر

(١) الظلال،لسيد قطب.

غايته إبان تلك الحضارة، إذ أن عصارة هذه المادة العلمية على دقتها أصبحت من المعارف الشعبية التي يتداولها عامة الناس[1]، وهذا ما فعلته الدول التي حققت التقدُّم العلمي والتكنولوجي والصناعي والاقتصادي عالميًا اليوم.

المبحث الثاني
ملامح مجتمع المعرفة
المطلب الأول
ملامح مجتمع المعرفة

لمجتمع المعرفة أبعاد وملامح تمدُّه بالحياة والاستمرارية ،وتوفر له مقومات البعد الانتشاري ،وتغذيه من شرايين المعرفة المختلفة قديمها وحديثها،وتتمثل تلك الملامح والأبعاد فيما يلي:

البعد الاقتصادي:

يُعد البعد الاقتصادي القائم على المعرفة ملمحاً من ملامح مجتمع المعرفة و تُعرف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الاقتصاد القائم على المعرفة بأنه" الاقتصاد الذي تعد فيه المعرفة المحدد الرئيس للإنتاجية والنمو الاقتصادي من خلال التركيز علي دور جديد للمعلومات وللتقنية والتعليم في تحقيق أداء اقتصادي متميز"ويعرفه البنك الدولي بأنه" الاقتصاد الذي يجري فيه توليد / خلق المعرفة واكتسابها ونشرها واستخدامها بواسطة الأعمال والمنظمات والأفراد والمجتمع "كما يوصي بضرورة تصدر السياسات الخاصة بالمعرفة والابتكار في قلب استراتيجيات التنمية لكل الدول" وتعرفه منظمة التعاون الاقتصادي الآسيوي الباسيفيكي بأنه "الاقتصاد الذي يكون فيه إنتاج ونشر واستخدام المعرفة المحرك الرئيس للنمو وتكوين الثروة والتوظيف في كل قطاعات الاقتصاد الوطني"وتعرفه وزارة التجارة والصناعة في المملكة المتحدة بأنه "الاقتصاد الذي تساهم فيه عملية توليد واستخدام المعرفة مساهمة

(١) لغة الأمة ولغة الأم ص ٢٧ ومابعدها.

واضحة في النمو الاقتصادي وتكوين الثروة ، في حين تمثل تقنية المعلومات الأداة الرئيسة ،ويكون فيه رأس المال البشري النواة من خلال قدرة الإنسان على الابتكار وعلي الإبداع والتوليد والاستثمار للأفكار الجديدة،مع تطبيق التقنية واكتساب مهارات جديدة وممارستها"[١].

ومن الملاحظ أن جميع التعريفات بينها قواسم مشتركة يمثلها الإنتاج والنشر والاستخدام وكلها تنضوي تحت (رأس المال المعرفي)وهي قواسم يعني اضمحلالها محدودية المعرفة وهنا تلعب اللغة الأم دوراً سلبياً في حالة عدم توطين المعرفة بها.

البعد التكنولوجي:

البعد التكنولوجي في مجتمع المعرفة يتمثل في انتشار وسيادة تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها في مختلف مجالات الحياة العصرية[٢].

ويُعد البعد الاتصالي أو التشبيك، هو العامل الأساس لنقل المعلومات والأفكار والممارسات للمجتمع الجماهير والفردي، في المدرسة،والمكتب والمصنع والمزرعة، والبيت والشارع ،والنادي الثقافي والرياضي والأدبي، ونكون حينئذ استبعدنا التوجه الأحادي الذي يعود نفعه علي الفرد والأسرة، إلي توجه أممي يؤدي إلى إنتاج المعرفة واستدامتها من جانب، وجعلها في متناول جميع أفراد المجتمع من جانب آخر.

وثمة أمر فريد يقضى بأن التكنولوجيا ما هي إلا نتاج عملي تولده البنى الاجتماعية والاقتصادية للاسهام في حل المشاكل التي يواجهها المجتمع في أي لحظة،وأنها لا تتطور إلا علي يد العمال والفنيين المهرة فهي إذا نتاج (للذكاء الاجتماعي)[٣].

(١) الاقتصاد القائم علي المعرفة: دكتور محمد مراياتي المؤتمر الدولي السادس للجمعية الاقتصادية بعمان ،فبراير ٢٠١٣م ص٢٢.

(٢) صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية، صلاح الدين محمد توفيق،وهاني محمد يونس،الرياض مكتبة الملك فهد ط٢٠١٠،١م،ص١٧.

(٣) العرب أمام تحيات التكنولوجيا، د، انطونيوس كرم ، عالم المعرفة، ١٩٨٢م ص ٢٧-٢٩.

والذكاء الاجتماعي لا يمكن أن يتوافر بالتعدد اللغوي أو اللغات الأجنبية، فهو عدو لدود لهما، فإنجلترا خاضت منذ البداية ميادين متواضعة كصناعة الغزل والنسيج وتعدين الفحم،كما نشطت أمريكا في حقول الاكتشافات الجيولوجية والمعدنية والجغرافية، ونحت فرنسا ومعظم الدول التي شرعت في التنمية منذ القرن التاسع عشر معتمدة فى تلك الحقيبة علي مؤسساتها الاجتماعية والآلات والأدوات ذات الصنع المحلي استنبات اجتماعي ومواءمة ثقافية وليس استيراداً، لأن التكنولوجيا الحقة هي التي تتشكل في سياق مجتمعي خاص(ذكاء اجتماعي) وتنمو في إطار نظم المجتمع ومؤسساته[١].

وقد علم الغرب وعمل أنه "من الصعب أن نجد في خصائص المجتمع ما يمكن أن يكون أكثر تمييزاً للمجتمع من لغته،أو يوازيها أهمية في الدور الذي تؤديه في عملية قيام المجتمع بوظيفته"[٢].

البعد التنموي القائم على التنمية الإنسانية المستدامة:

يرتبط مجتمع المعرفة ارتباطاً وثيقاً بالتنمية المستدامة، وهي مصطلح اعتمده المجتمع الدولي في قمة الأرض في البرازيل في العام ١٩٩٢م بمعنى "تلبية احتياجات الجيل الحالي من دون إهدار حقوق الأجيال القادمة في الحياة وفق مستوى لا يقل عن المستوى الذي نعيش فيه"[٣] وهي تتوقف بطبيعة الحال على المشاركة الواسعة من أفراد المجتمع ، وتتوقف تلك المشاركة على رأس المال المعرفي،الذي ينمو ويزداد بمقدار نمو التعليم والتثقيف والتوعية"والعنصر الوحيد القادر علي تعميم التعليم وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في تربة المجتمع هو اللغة الأم"[٤].

(١) انظرالعلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، انطوان زحلان، بيروت ١٩٧٩م ص٢١_٢٢، وتوطين العلم والتكنولوجيا، د، علي القريشي، كتاب الأمة عدد ١٢٥، ط١ ،٢٠٠٨م ،ص ٦٩.

(٢) علم اللغة الاجتماعي، هدسون ية ص ١٧.

(٣) التقرير العاشر ص ١٣٢.

(٤) لغة الأمة ولغة الأم – ص ٢٠.

ويرى تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي[1] أن قيمة المعرفة لأغراض التنمية تتوقف على مدى تطبيقها بفاعلية، أو تحويل المعرفة إلي ثروة من خلال إيجاد تشبيك بين نظم التعليم وسوق العمل، وإيجاد صلات تربط الباحثين مع المنتجين وصانعي القرار،حيث يتطلع مجتمع المعرفة إلى تحقيق نمو معرفي يؤدى إلى تطوير عناصر الإنتاج وتحسين النمو الاقتصادي وتعزيز التنمية، ويشير التقرير كذلك إلى أن المعرفة سلعة ذات منفعة عامة تدعم الاقتصاديات والبيئة الاجتماعية وتحقق تنمية المجتمعات، وتنتشر في جميع جوانب النشاط الإنساني.

البعد السياسي:

يعني البعد السياسي في مجتمع المعرفة،إشراك الجماهير في اتخاذ القرارات بطريقة رشيدة، مبنية علي استعمال المعلومة،وهذا لا يتم إلا بتوسيع حرية تداول المعلومات وتوفير مناخ سياسي مبنيّ على الديمقراطية والعدل والمساواة وإقحام الجماهير في عملية اتخاذ القرارات والمشاركة السياسية الفعالة[2].

البعد اللغوي(التعدد اللغوي والازدواجية اللغوية):

ولابد هنا من الإشارة ونحن نتحدث عن البعد السياسي لمجتمع المعرفة أن نضيف بعداً آخر أهمله الباحثون في هذا المجال تماما،ألا وهو البعد اللغوي المتمثل في القضاء علي الازدواجية اللغوية والتي يقصد بها وجود مستويين للغة واحدة، أحدهما فصيحا، يستخدم في المناسبات الرسمية والكتابة والأدب والتعليم ودور العبادة،والآخر مستوى العاميات أو اللهجات الدارجة، ويستعمل في الحياة اليومية مثل المحادثات الهاتفية والمنزل والشارع وأماكن العمل. إضافة إلى لغة المستعمر والتي لا مكان لها في هذا المجتمع ،بل تعد عائقاً وسداً منيعاً من الدخول إليه.فالازدواجية في

(١) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠٠٢م نحو إقامة مجتمع المعرفة. الأردن: المكتب الإقليمى للدول العربية – ص ٥.

(٢) إدارة المعرفة،نعيم إبراهيم الظاهر،عمان دار جدار للكتاب الالي والنشر والتوزيع ٢٠٠٩م ص٣٢–٣٨.

عرف اللسانيين هي إذن"التقاء لسانين مختلفين قد يكونان من أسرة لغوية واحدة أومن أسرتين مختلفتين"[١].

ويمكن وصف وتشخيص الازدواجية السائدة في بلداننا العربية بأنها" ازدواجية جماعية - بمعنى ليست فردية - مفروضة علينا فرضاً...وأنها لا تحمل إلينا استعمالا لسانيا فحسب ،وإنما تحمل إلينا فكراً مغايراً وثقافة مختلفة ورؤية للكون والأشياء لا تتفق في مجمل ظواهرها مع رؤيتنا نحن ...وهي تحمل الكثير من الأفكار المسبقة والأحكام القيمية على لساننا العربي وعلى ثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا وواقعنا،بمختلف تجلياته"[٢].

فمجتمع المعرفة أولاً يحتاج إلى لغة نفاذ واحدة وتسمى في علم اللغة بـ(السياسة اللغوية) ولابد من فرضها على المجتمع بقرار سياديّ وسياسيّ وهذا ما فعله "المستعمر حيث فرض لغته على العرب فرضاً دون اختيارهم بقرار سياسيّ أنجز في سنوات قليلة"[٣] ويمكن أن نوجز أهم فوائد السياسة اللغوية في النقاط التالية:

١- رفع مستوى التفكير،فالتعدد اللغوي في التعليم يقلل بشدة من مستوى التفكير والابتكار وهو أساس المشاركة في بناء مجتمع المعرفة.

٢- إثراء المحتوى الرقمي المعرفي على (الشابكة) وهذا يعني علمية اللغة ووظيفيتها.

٣- جعل المعرفة ملكاً حراً ومشاعاً لجميع أفراد المجتمع ،لاستيعابها ومن ثم الإسهام في إنتاجها ونشرها،ويكسوها هيبة التفرُّد لا الانفراد.

٤- تُعزز في أبناء الأمة قوة الانتماء.

٥- ترفع من شأن اللغة بحيث تصبح لغة علمية فتزداد وظيفتها لتكون سببا في زيادة الناطقين بها وليس العكس.

(١) اللسان العربي وإشكالية التلقي ص ٦٩.

(٢) نفسه ص ٦٩.

(٣) لغة التدريس في العلوم التطبيقية د أبوعاشة ص ١٤.

وحتى لا يكون هذا البعد الذي أضفناه لبناء مجتمع المعرفة بدَعا وزخرفا من القول غُروراً فها هي فرنسا تفرض الغرامات المالية علي منتهكي السياسة اللغوية. ففي شهر فبراير من العام ١٩٨٤م غرمت شرطة(بانتين) France ouice فرانس كويك الفرنسية مبلغ (٣٥٠٠) فرنك؛لأنها تقدم قائمة طعامها مكتوبة باللغة الانجليزية، بدلا من أن تقدمها باللغة الفرنسية، بل إن شركة أخرى قدمت إعلانا عكست فيه الحرفين الأخيرين للغة الفرنسية (filter فأصبحت filtre) فكانت الغرامة (٧٥٠٠٠) فرنك وقد نالت هذه الغرامات قدراً وافراً من النشر في وسائل الإعلام،تخويفا وعظة لمن يتهاون أو يتلاعب.

والجدير بالذكر أن تلك الغرامات تمت استناداً على قانون اللغة الفرنسية للعام ١٩٥٧م ويعد مثل هذا الصنيع فيه بمنزلة الإساءة للغة الفرنسية، فيُرفع للمدعي العام للدولة عن طريق الرابطة العامة لمستخدمي اللغة الفرنسية[١].

وكيف لا ترفع المخالفة في السياسة اللغوية الفرنسية للمدعي العام وقد قال رئيس الدولة فرانسوا ميتران: "لم يشهد التاريخ تقدم أمة من الأمم بغير لغتها"[٢] كما أن تطبيق فرنسا للسياسة اللغوية حقق فوائد لم يحققها لها الجيش ،ونعوم شومسكي يقول ينبغي أن نكتشف اللغة علي نحو ما نكتشف الفضاء،ولابد أن يكون وراء هذا الحرص الشديد من الغرب على تطبيق السياسة اللغوية سر آخر غير العنصرية؛ لأن الغرب لا يتعنصر لما لا يخدم أهدافه.

البعد الاجتماعي:

يعد العنصر البشري الدينمو المحرك والمحور الأساس والبعد الفعال لبناء مجتمع المعرفة،وأن توسيع مشاركته وانخراطه بكل مكوناته يعد شرطا ضروريا لبنائه،فالمجتمعات المفككة لن تكون فيها تنمية البتة، وتمثل اللغة هنا الحياة الاجتماعية برمتها وبها يعبر عن الانتماء الحضاري والثقافي والوطني.

(١) اللغة والاقتصاد ص١٦٣.

(٢) اللغة العربية والتقنيات الجديدة ،المراياتي ص١٠.

ونخلص مما سبق أنه "لا أمل في إقامة مجتمع معرفة عربي من دون تكامل إقليمي ،ولا سبيل لتحقيق هذا التكامل إلا من خلال مدخل ثقافي ينطلق من اللغة العربية بصفتها البوابة الملكية لتحقيق هذه الغاية"(١).

المبحث الثالث

العربية وبناء مجتمع المعرفة (تحديات وحلول)

المطلب الأول

تحديات اللغة العربية في بناء مجتمع المعرفة

يمكن للغة العربية أن تبنى (مجتمع المعرفة)وتؤثر فيه، إذا توافرت لدى أبنائها الإرادة والعزيمة،فالعربية خالية من الموانع التقنية والبرمجية للقيام بهذا الدور،إلا أنها تواجه بعض التحديات في عصر العولمة تحتاج لجهود سيادية وفكرية واسعة لإزالتها، ومن تلك التحديات ما يلي:

١- **محو الاتجاه السائد** : بأن اللغة العربية هي لغة أدب وفن ولا تتوافر فيها صفات المعاصرة.

٢ ـ مزاحمة اللغات الأجنبية:

بلغت مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية مرحلة خطيرة وأصابتها في مقتل بسبب خلقها أزمة لغوية في الوطن العربي عبر عنها الضبيب بقوله "أصبح المواطن العربي غريبا لغويا في كثير من المؤسسات والشركات وأماكن النفع العام:مثل المستشفيات والفنادق ووكالات السفر وبعض المطاعم،وأصبح من الواجب على المواطن كي يحصل على مطلوبه من الخدمة أن يتعلم لغة أجنبية،وهو وضع شاذ لانكاد نجد له مثيلا في البلاد المتقدمة، إذ إن المسئولية اللغوية تقع علي عاتق المواطن الأجنبي فهو الذي يُطلَب منه عادة إجادة لغة البلاد التي ينوي العمل فيها وليس العكس"(٢).

(١) العقل العربي ومجتمع المعرفة ،د.نبيل علي ص٩.

(٢) اللغة العربية في عصر العولمة، أحمد بن محمد الضبيب ص٢١.

٣/ محو العزوف الداخلي:

هنالك استهانة واستهجان وتضجر من أن اللغة العربية عاجزة عن الدخول إلى عالم الانفجار المعرفي وثورة المعلومات ولا تستطيع الدخول إلى دنيا العلوم والرياضيات واقتصاد اللاملموسات وانترنت الأشياء والحاسوب ولا توجد قاعدة بيانات معلوماتية بها،لكن هذه المحنة سببها انهزام أبناء العربية نفسيا،واستساغتهم للسيل العارم من الألفاظ الأجنبية، فتجد اللفظ الأجنبي يستعمل وبنهم شديد وشغف وله أكثر من مقابل عربي نحو:تلفون، يقابله (هاتف، وجوال، ومحمول، وخلوي)، ومثله كلمة (أوكي) حسن، طيب كويس، جميل، والأمثلة كثيرة من أسماء المنتجات وغيرها. فاستحسان هذه الألفاظ حني لدي العامة ينذر بمحو ملامح الأمة من عقيدة وثقافة وسلوك وتراث،لأن كل لفظ لغوي مكون من جانبين مادي وفكري.

محو الأمية الوظيفية للغة العربية:

لابد للغة العربية أن تكون لسان أمة ولغة حياة وتنكير الحياة هنا يعني شموليتها وامتدادها سياسيًا واقتصادياً وعلمياً وفنياً،لتطال أذرعة العولمة الطويلة والممتدة من جانب،وأن تشكل حضوريا علميًا وسياسياً في مراكز القرار العالمي واقتصاديات المعرفة والتعليم.

المطلب الثاني

مقترحات وحلول لفاعلية اللغة العربية في بناء مجتمع المعرفة

وبناء علي متقدم من مباحث ومطالب هذه الورقة يمكن أن نشير إلى بعض النقاط والحلول لفاعلية اللغة العربية والدول العربية لبناء مجتمع المعرفة وتكوينه وتتمثل تلك النقاط والحلول فيما يلي:

أولاً: لابد من توافر المعلومة العلمية والتكنولوجيا وليست الأدبية والدينية فقط باللغة العربية،لتكون في متناول الفرد العربي مهما كان مستواه التعليمي متدنياً أو معدوماً فاللغة ظاهرة اجتماعية وليست تعليمية

ثانياً: يجب أن لا نخلط بين تعليم العلوم والتكنولوجيا لأفراد المجتمع باللغة الأجنبية (فشل كبير لدي الدول العربية)، وإتقان الخريجين للغة الأجنبية، فليس بين الأمرين تقارب أصلا.

ثالثاً: يجب أن لا تحصر المعرفة العلمية في النخب فقط، ويحرم منها المجتمع وقواه العريضة العاملة في كافة مجالات الحياة، فيصبح أعضاؤه أجساداً بلا رؤوس، بسبب الحصر النخبوي.

رابعاً: الارتباط المكين بين اللغة ومجتمع المعرفة يتطلب زيادة عالية وكفاية متميزة للمحتوى العربي على الشابكة وإدخال التراث أو المعرفة الإسلامية العربية من فلسفة ولغة وتربية وتزكية وتعليم وفن وثقافة وأدب وحكمة وغيره بلغة عربية لتصبح صناعات ثقافية تصب في تحقيق التنمية الاقتصادية.

خامساً: أن تضع الجامعات التحدث بالفصحى شرطا تنص عليه لوائحها الخاصة بتعيين أعضاء هيئة التدريس، منعا للازدواجية اللغوية التي تعد عدواً لداً يمنع من الدخول لمجتمع المعرفة، وخاصة التدريس باللهجات العربية التي يستحيل التواصل بها أحيانا حتى بين أبنائها وقد ازدهر علم اللهجات العربية بباعث وغايات محددة هي:

١- باعث سياسي غايته استعمارية.

٢- باعث عقائدي يهدف إلى تقليص البعد الديني والوزن الروحي الذي عند العربية لأهلها.

٣- باعث مذهبي يرمي إلى نقص التركيب الهرمي في المجتمع لدك بنيته الفكرية"[1].

سادساً: وضع سياسات الترجمة والتعريب موضع التنفيذ.

(١) اللسانيات وأسسها المعرفية ص١٦.

الخاتمة

الحمد لله مستحق الحمد على ما أنعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم ففي خاتمة هذا البحث الذي قصد منه إبراز دور اللغة العربية في بناء و تكوين مجتمع المعرفة ،متخذاً من المنهج الوصفي التحليلي أداة توصلت من خلالها إلى النتائج والتوصيات التالية.

النتائج:

- أن توطين العلوم والمعرفة باللغة الأم(العربية) يعد شرطا أساسيا لبناء وتكوين مجتمع المعرفة.
- أن العلاقة بين مجتمع المعرفة واللغة الأم علاقة عضوية.
- لا يمكن لمجتمع المعرفة أن يتكون في ظل الازدواجية أو الثنائية اللغوية أصلا.
- أن اللغات لا تتفاضل من حيث الطبيعة اللغوية المكونة لها،إنما التفاضل قائم بين المجموعات البشرية الناطقة بها،من حيث الاعتناء بها ورفع أسهمها محليا وإقليميا وعالميا.
- أن مجتمع المعرفة يسهم بدرجة كبيرة في تحقيق التنمية المستدامة من خلال إيجاده لموارد معرفية.
- أن ازدهار علم اللهجات في الوطن العربي من رائه بواعث سياسية استعمارية،وأخرى عقائدية مذهبية ترمي إلي تفكيك ودك البنية الفكرية لتلك المجتمعات يجب الانتباه لها.

التوصيات:

- أوصى أن تسهم مؤسسات التعليم العالي في بناء وتكوين مجتمع المعرفة في الوطن العربي من خلال التعريب ،وأن تقود حملة إعلامية تُعرف بفوائده السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها.

- أن تتضافر الجهود لمحو التعليم باللغات الأجنبية في رياض الأطفال ومرحلتي الأساس والثانوي،منعا للمعرفة من الحصر النخبوي.
- أن تستصدر وزارتي التربية والتعليم العالي قراراً قاطعاً يقضي بمنع التدريس بالدارجة في كافة المراحل التعليمية.

المراجع والمصادر

١- اتجاهات التحليل اللغوي،د.بكري الحاج، النادي الأدبي الثقافي ،جدة ط،١، ٢٠١٤م.

٢- إدارة المعرفة،نعيم إبراهيم الظاهر،عمان دار جدار للكتاب الالمي والنشر والتوزيع ٢٠٠٩م .

٣- اقتصاد المعرفة، ربحي مصطفي عليان، دار صفاء للنشر والتوزيع ،١٢١٢.

٤- الاقتصاد القائم علي المعرفة: دكتور محمد مراياتي المؤتمر الدولي السادس للجمعية الاقتصادية بعمان ،فبراير ٢٠١٣م

٥- العرب أمام تحديات التكنولوجيا، د، انطونيوس كرم ، عالم المعرفة، ١٩٨٢م.

٦- العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول ،د.نبيل علي،دار المعرفة نوفمبر ٢٠٠٩م.

٧- العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي،انطوان زحلان،بيروت ١٩٧٩م.

٨- توطين العلم والتكنولوجيا،د،علي القريشي،كتاب الأمة عدد ١٢٥، ط١ ،٢٠٠٨م.

٩- الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠- التعريفات للجرجاني،تحقيق إبراهيم الانباري،ط٢،دار الكتاب العربي١٩٩٢م.

١١- اللغة والاقتصاد، فلوريال كولماس،ترجمة أحمد عوض،دار المعرفة، نوفمبر ٢٠٠.

١٢- اللغة وسمات الشخصية،د،محمد أحمد عبدالعاطى،مجلة كلية اللغة العربية،العدد٢٠١٧،٤م جامعة القراءن الكريم وتأصيل العلوم.
١٣- النمو اللغوي للمعاقين سمعيا، د،أحمد نبوي،د،فراس أحمد سليم،مركز النشر العلمي، جامعة الملك سعود،ط١، ١٤٣٨هـ.
١٤- اليوم العالمي للغة العربية ، اللغة العربية والتقنيات الجديدة ، د، محمد مرياتي،المنتدي العربي الخامس للبحث العلمي والتنمية العربية المستدامة،الدورة الخامسة ديسمبر،٢٠١٧م ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - السودان ،بحث غير منشور.
١٥- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠٠٣م
١٦- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقرير المعرفة العربى للعام ٢٠٠٩.دبى: دار الطباعة والنشر.
١٧- تكنولوجيا الثقافة العلمية وعلوم الهواة د حسام الدين محمد مازن ، دار العلم والإيمان ،٢٠٠٩م
١٨- توطين العلوم في الجامعات العربية والإسلامية رؤية ومشروع د،علي القريشي كتاب الأمة العدد١٢٥ جمادي الأولي ١٤٢٩هـ.
١٩- صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية، صلاح الدين محمد توفيق،وهاني محمد يونس،الرياض مكتبة الملك فهد ط٢٠١٠،١م
٢٠- علم اللغة الاجتماعي لهدسون، ترجمة محمود عياد عالم الفكر،ط ، ٢٠٠٢م.
٢١- لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية،عبدا لعلي الود غيري،دار الكتب العلمية، طبعة ٢٠١٣م.
٢١- لغة التدريس في كليات العلوم التطبيقية في مؤسسات التعليم العالي،كيف نصل إلى التعليم باللغة التي يفهمها الطلاب والأساتذة؟ بحث غير منشور،ا،د / حسن أبو عائشة.

٢٢- مجتمع المعرفة جامعة عمان.
٢٣- مجلة الفيصل بحث بعنوان (التداخل اللغوي والتعدد اللغوي) الدكتور علي القا سمي، العدد ٢٢٤ ،١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م،.
٢٤- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس،تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٩٧م.
٢٥- معوقات نقل المعرفة،محمد احمد حمد، أعمال مؤتمر العلماء والخبراء السودانيين بالخارج فبراير ٢٠١٧م
٢٦- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (٢٠٠٥). التقرير العالمى لليونسكو (من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة). باريس:صدر عن منظمة اليونسكو.